



## + آباؤنا القديسون

### الأقمار الثلاثة

لقب القديس باسيليوس الكبير و غريغوريوس الثيولوجوس (اللاهوتي) ويوحنا الذهبي الفم بالأقمار الثلاثة لأنهم أذاعوا نور المسيح للمسكونة بأعمالهم وبتصرفاتهم وأقوالهم. تعيد الكنيسة المقدسة لكلّ منهم في يوم خاص، إلا أنها ارتأت التعميد لهم مجتمعين في اليوم الثلاثين من كانون الثاني لسبب كثرة المنازعات والانشقاقات في القرن الحادي عشر، على عهد الملك ألكسيوس كومنينوس، حول من من الثلاثة هو الأعظم، وسمّتهم "الأقمار الثلاثة". وقد سمّت الكنيسة القديس باسيليوس الكبير "كاشف السماء" لأنه انطلق من تأمل الصورة الإلهية، فأخضع العلم الذي تلقاه في أثنينا إلى خبرته الروحية بعيداً عن كلّ جدال فارغ. كافح في سبيل الإيمان الصحيح وكان يعتبر أنّ اعتداد الهراطقة بعقلهم جهلاً لأنه لا يمكن إخضاع الله غير الموسوع للعقل والمنطق. بالإضافة إلى الأمور اللاهوتية - العقائدية كانت لديه مفاهيمه الاجتماعية التي لم تنفصل أبداً عن مآثره الاجتماعية لأنها لم تكن تنظيرية. فالمفهوم الأساسي عنده هو أنّ الإنسان كائن غرس الله فيه الصفة الاجتماعية عند الخلق حين قال أنه ليس حسن أن يكون الانسان وحده على الأرض، وأعطاه الكلمة لكي يكشف عن إرادة قلبه ولكي ينقل للآخر خفايا ذاته، كما أعطاه المواهب الروحية لكي يتكامل مع الآخر. فالحياة الحاضرة بالنسبة للمسيحي انتصار على المشاكل الروحية والاجتماعية.

أما القديس غريغوريوس اللاهوتي فكانت مؤلفاته عميقة دافئة التعبير. عبقرته الخطابية والبلاغية تجلّت في غنى الصور والامثال والاستعارات التي استعملها. قال أنّ الله لا يدرك بالعقل. فكلّ ما يسند الانسان إلى الله من صفات مثل بلا جسد وغير مولود ولا بدء له... يظهر ما هو ليس الله. حتّى بولس الرسول أكد، عندما احتطف إلى السماء وصار إناء للتعمّة، عدم إدراكنا لله. لذلك عندما يتحدّث غريغوريوس عن الثالوث يؤكّد أنّ تفلسفه ليس بطريقة عقلانية فيقول: "قل لي ما هي عدم ولادة الآب وأنا سأعلّمك عن ولادة الابن وانبثاق الروح القدس". أما عن الرّمّن فيقول أنّه عند المتأله اتّجاه من الخليقة إلى الأبدية. كلّ شيء في العالم يتغيّر من ساعة إلى أخرى، كلّ الأشياء تجري وتبدّل وتفنى. والموت الحقيقي ليس انفصال النفس عن الجسد إنّما هو دمار النفس في الخطيئة. وبالنسبة للكهنوت يذكر أنّ أفضل مثال للراعي هو سيرة يسوع الناصري لأنّ يسوع هو الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن الخراف. ولكي يكون الكاهن على مثال سيده يحتاج إلى جهاد كامل وعليه الانكباب على الكتب المقدسة لتفويض منه ينابيع حياة تعزّي وتخلص.

يوحنا الذهبي الفم كان هدف لاهوته تقديم المعلومات الآزمة لسامعيه وبناءهم روحياً، لذلك كان عملياً في فكره ويتجنّب كلّ النظريات غير المفهومة. لقد جمع بين بساطة التعليم وعمق الآهوت، حتّى أنّ لاهوته صار مرجعاً أساسياً إذ كانت كتاباته مرآة للاهوت الأرثوذكسي القويم.

الله بالنسبة ليوحنا مختلف من حيث الجوهر عن الانسان اختلافاً كلياً ولذلك فإنّ الطبيعة الإلهية تتجاوز كلّ معنى، أي أنّه يبقى غير مقترّب إليه من القوى العقلية. أما فيما يختصّ بطبيعة جوهر الابن بالمقارنة مع جوهر الآب فقد استعمل بكثرة تعبير Omoousios للتعبير عن مساواة الابن للآب في الجوهر. والانسان عنده مزيج من العالين الروحي والمادي. لقد خلق



## + آباؤنا القديسون

ليكون سيّد جميع المخلوقات لكنّه خسِر بالسَّقوط سلطته على الكون وأضاع العلاقة الصّحيحة بينه وبين ربّه وأدخل الموت إلى طبيعته.

أمّا عن موضوع سرّ الشّكر فالجهاد ينمو في الصّلاة الّتي هي ضروريّة للانسان، كالماء الّذي هو ضروريّ للسّمك، وفي المشاركة بجسد المسيح في سرّ الشّكر. فالمسيح يحضر على نحو حقيقيّ في هذا السرّ، لذلك على المؤمن أن يقترب منه بخوف ورهبة وإيمان قويّ.